مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلامٌ على أصحابه البررة المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين الى قيام يوم الدين.

أما بعد: لايخفى أننا لازلنا بحاجة الى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو نشر المفاهيم الأخلاقية والتربوية وترسيخ المفاهيم الإيمانية التي تضمنتها رسالة الإسلام لبناء الفرد بناء فعليا حقيقيا ليكون انطلاقة سليمة لبناء ذلك الكيان الإنساني الشامخ الذي ماهو إلاّ اللبنة الأولى لبناء مجتمع إسلامي راسخ البنيان، عتيد المراسي.

لذا ومساهمة في ذلك جاءت برامج إذاعة الكفيل صوت المرأة المسلمة كسبيل للوصول الى ذلك، وقد أخذت هذه البرامج طريقها الى أسماع الكثيرين عبر أثيرها وعبر شبكة الأنترنت العالمية صوتا ولأجل تعميم الفائدة إرتأت الإذاعة إيصال برامجها كتابيا الى أيدي الذين لم يسعفهم الوقت لسماعها وذلك بطباعة بعض من برامجها وإصدارها ككراس.

الحلقة الأولى

الحلقة الأولى

المؤمن الفقير

﴿وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ البقرة/ ٢٢١.

لقد بينت الآيات القرآنية كرامة الفقير المؤمن وعظمته، فلقد حدد القرآن الكريم حدودا للإعجاب والتفضيل بفئة من الإماء، ولا تدخل ضمن هذه الحدود الحرائر من النساء المشركات وان كنّ أصحاب مال وثروة وحسب ونسب، وبذلك انتصر القرآن الكريم للأمة الفقيرة المؤمنة والعبد المؤمن، وهكذا كانت دعوة النبي ﷺ دعوة صارخة في وجه الأغنياء المترفين بكل تفاصيلها، وقد حول النبي في سيرته الشريفة هذه الكرائم القرآنية والاضاءات للإلهية إلى مواقف عملية يعيشها المسلمون الأوائل يوميا.

زارعا لهذه الأفكار السامية في حياتهم وناسخا للسيرة الجاهلية في التعامل مع الفقراء باحتقارهم ونبذهم، فكان من نتيجة هذه السيرة العطرة ان بقيت وتحولت قصة «ذلفاء وجويبر» إلى إضاءة وإشراقة في تاريخ الإسلام.

فقد كان رسول الله ﷺ كعادته يزور ويتعاهد الفقراء من أهل الصفة في المدينة المنورة، فنظر ﷺ إلى جويبر برقة ورحمة وقال له:«**يا جويبر لو تزوجت إمراة أعانتك على دنياك وآخرتك**»، فقال جويبر لست بصاحب نسب ولا حسب ولا مال فلا أحد من النساء ترغب بالزواج مني، فشرع الرسول ﷺ يشرح له ان الإسلام أعز من كان غير شريف في نظر المجتمع الجاهلي وكرّمه وشرّفه وان الناس كلهم من آدم وآدم من تراب وليس لأحد من الناس عليك فضل الا من كان أكثر منك تقى لله وأطوع له تعالى، ثم امره بأن يذهب منطلقا إلى زياد بن لبيد وكان من أشرف بني بياضة من الأنصار حسبا، ويقول له بأن الرسول يأمره بأن يزوج ابنته «ذلفاء الأنصارية» من جويبر، فما كان من زياد إلا عدم تصديق هذه الدعوى من جويبر قائلا له:

نحن الأنصار لا نزوج بناتنا إلا من كان كفؤا لنا فانصرف من عندي يا جويبر حتى ألقى الرسول ﷺ واخبره بعذري ورفضي لأمره ﷺ، ثم التقى زياد بالرسول ﷺ وذكر عذره معللا بذلك مخالفته لهذا الزواج فقال له النبي ﷺ «**يا زياد إن جويبر مؤمن والمؤمن كفؤ للمؤمنة والمسلم كفؤ للمسلمة فزوّجه ولا ترغب عنه**»، فاقتنع زياد بطلب النبي ﷺ وكلامه وزوج ابنته من جويبر بعد ان وهبه منزلا

وأثاثا.. يقول تعالى ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ البقرة/ ٢٢١.

وبلال الحبشي أيضا أصبح من أروع أمثلة العبيد المؤمنين غداة إنتشار الدعوة الإسلامية، حيث فضله النبيﷺ وهو عبد حبشي على عمه أبي لهب وهو سيد قريش، كما كان لعبد الله ابن ام مكتوم الحظوة والمكانة عند النبيﷺ برغم فقره وعماه فقد اختاره مؤذنا لهﷺ.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحشر/ ٨.

وهذه آية كريمة أخرى من الكرائم التي تشيد بصدق الفقراء وكرامتهم وعظمتهم فهم الذين شيدوا اللبنة الأولى لصرح المجتمع المسلم في التاريخ ومن جاء بعدهم نسج على منوالهم، وتوضح الآية الشريفة دور الفقراء في نصرة رسول الله ومشاركتهم الفعالة في تحقيق النصر على الكفر وصنع المجتمع الصالح في المدينة المنورة، وتستشهد على صدق هؤلاء بنجاحهم في الإمتحان بإخراجهم من ديارهم من قبل الكفار وكذلك بمصادرة أموالهم وهي عزيزة على الإنسان لا يترك

أيا منها بسهولة إلا لهدف عظيم وسام ونبيل، فجاءت نتيجة امتحانهم نتيجة مشرفة لابتغائهم الفضل والرضوان من الله في قبال ما قدموه فباتوا فقراء مستحقين من الأموال التي تصرف في سبيل الله من سهم الفيء.

فكانت ظروف الهجرة والفقر التي عانوها قد أهلتهم لينالوا درجة الصدق فصار نقص الأموال عندهم سببا لكرامة الصدق، كما كانت كثرة الأموال عند امثال الوليد بن المغيرة من مستكبري قريش الذي جعل الله له مالا ممدودا كثيرا سببا لطغيانه ومنعه للخير واعتدائه على الآخرين، بل عند بعض المسلمين الأغنياء اولي الطول صار هذا المال ايضا سببا للتقاعس عن نصرة الدين المبين في عصر النبيﷺ ولا يزال الامر كذلك إلا من رحم ربك، فحينما دعا النبيﷺ أغنياء قومه المنافقين منهم إلى الجهاد كغيرهم من طبقات المجتمع المسلم الغني، رأى هؤلاء الأغنياء لأنفسهم حقوقا مقدسة يمتازون بها عن الفقراء وأعفوا أنفسهم من الجهاد ومن الدخول في أتون المعارك لأن غيرهم من الفقراء قد خلق لها ولأن أنشطتهم التجارية وقيامهم بخدمة المال وجمعهم له قد أعفاهم عن الجهاد مع الرسولﷺ بحسب زعمهم، وإلى هذه الظاهرة الخطيرة اشارت الآية الكريمة:

﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ التوبة/ ٨٦.

وبعد ان ينتهي وصف هذا المشهد في الآية السابقة عن حال الأغنياء المطبوع على قلوبهم لإتخاذهم الغنى امتيازا وشرفا لهم على غيرهم وفضيلة لم يدركها الفقراء، تواصل الآية الكريمة من سورة التوبة في وصف مشهد الفقراء المؤمنين الذين يبكون لحرمانهم من نعمة الجهاد لأنهم لا يجدون ما ينفقونه بعد ان أتوا النبي ﷺ وهو يتهيّأ لغزوة تبوك طالبين منه ﷺ مركبا يحملهم فقال ﷺ لا أجد ما أحملكم عليه فسخت أعينهم بالدمع، يقول تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ التوبة/ ٩٢.

وما مرّ من وصف المشهدين المذكورين لطبقة الأغنياء أولا ثم طبقة الفقراء ثانيا هما وصفا لمشهدين متكررين على مرّ العصور وهو يبعث على تسجيل أجمل عبارات المديح والثناء لفريق الفقراء المؤمنين المتفانين إلى درجة الإيثار بأغلى ما يملكون وهي نفوسهم الشريفة وهم المثل الأعلى للمؤمنين الصادقين.

ولستُ بنظّارٍ إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء في جانب الفقرِ

الحلقة الثانية

صفة التعفف

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ البقرة/ ٢٧٣.

مرة أخرى نقف مع مديح صريح من القرآن للفقراء المؤمنين فالآية تبين عظمتهم وكرامتهم، فهم ملازمون للتعفف فألبسهم حلل الكرامة وأكسبهم تيجان العز، وهذا المعنى يفهم من الآية الكريمة بكل وضوح كما فهم المفسرون كون الآية بصدد مصرف الزكاة التي تعطى للفقراء الذين منعهم المرض او كسب العلم او استيلاء العدو على أموالهم او أمثلة أخرى من هؤلاء الفقراء المتعففين الذين لا يستطيعون الضرب او التكسب في الأرض فهم قد استحقوا المدح لتعففهم فكانوا من عظماء الامة.

وكانت الآية نزلت في أصحاب الصفة كما عن الإمام ابي جعفر عليه السلام وهم نحو من أربعمئة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر يأوون اليهم فجعلوا أنفسهم في المسجد وقالوا : نخرج في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وآله فحث الله الناس عليهم- أي رغب الناس في

الإنفاق عليهم من أموالهم – وكان الرجل اذا أكل وعنده فضل أي «زيادة من طعامه» أتاهم به وتصدق عليهم، ولا شك في شمول الآية لكل من اتصف بالصفات المذكورة في كل العصور ومنهم طلاب العلم والمبلغون لثقافة الإسلام والقرآن من العلماء والباحثين.

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ القصص/ ٢٣.

لقد دأبت آيات القرآن الكريم على وصف المؤمنين بصفات حميدة وكريمة وكذلك شأنها في وصف الأنبياء والمرسلين ولقد جاءت هذه الآية في سياق قصة النبي موسى عليه السلام بعد خروجه من مصر وورود ماء مدين حيث وجد جماعة من الناس تسقي بينما تقف امرأتان تمنعان غنمهما من السقي من البئر فتولى موسى عليه السلام سقآية غنم الإمرأتين حتى فرغ من ذلك فتولى إلى الظل وهو جائع لم يأكل منذ ثلاثة أيام كما قيل ان الآيات الكريمة ما انفكت في إعلاء شأن الأنبياء أو بيان سمو مكانتهم المعنوية بصفات تخصهم يشتركون في بعضها مع المؤمنين اضافة إلى زيادتهم في التلبس بتلك الصفات المشتركة وهم يمتازون على المؤمنين بميزات لا يشاركهم المؤمنون فيها كإيتاء الوحي التشريعي.

فكانت هذه الآية مادحة ومكرمة للنبي موسى عليه السلام بكرامة الفقر الممدوح: لأن الفقر في ثقافة القرآن نوعان فمنه ممدوح ومنه مذموم والآية تشير إلى الفقر الممدوح وقول الإمام علي عليه السلام: «كاد الفقر ان يكون كفرا»، يشير إلى الفقر المذموم.. وهي صفة يشترك فيها الأنبياء مع المؤمنين فلا استغراب إذن في أسلوب القرآن الكريم في تكريم المؤمنين والأنبياء المادح لحالة فقرهم.

والآية اذا نظرنا اليها من زاوية الإعتراف بالفقر من قبل النبي موسى عليه السلام وجدناها آية من آيات التكريم لمن تلبس بصفة الفقر الممدوح سواء كان نبيا ام كان مؤمنا فلذلك ورد في الروايات الشريفة على لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

«**اللهم أحيني مسكينا واحشرني مسكينا في جملة المساكين**»، فهكذا كان دعاء النبي لنيل هذه الكرامة من عند الله تبارك وتعالى وليعلن للأمة بعده ان الأنبياء يسيرون على منهاج الكرامة والعز والشرف وليعلم الأمة الإسلامية أسلوب الدعاء وطلب ما فيه الكرامة للأمة وهو النبي الذي خير زوجاته بين اختيار الحياة الدنيا وزينتها وبين اختيار إستمرار الحياة الزوجية مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يعني إختيار الآخرة حيث قال تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب/ ٢٨. فجعلت الآية الكريمة الحياة الدنيا في طرف مضاد لاختيار ملازمة خط الله ورسوله فأما اختيار الدنيا وزينتها أو اختيار البقاء على نمط حياة النبيﷺ الذي هو مشابه لنمط أخيه موسىعليه السلام الذي ما إن سقى لبنات النبي شعيبعليه السلام حتى وقف داعيا ربه فقال:

«**يا رب إني فقير ومحتاج إلى رغيف آكله**»، فمدح صفة الفقر أيضا في دعائه هذا لأن النبي موسىعليه السلام وهو الأسوة لا يصف نفسه بصفات ذميمة، وهذه هي وحدة النمط في أسلوب الحياة الإجتماعية للإنبياء والأولياء تشير اليها الآية الشريفة ولم يكن ذكر النبي موسىعليه السلام في الآية الا مثالا لحالة تشبه حالات الأنبياء جميعهم، وهو الاسلوب الاسوة في طريقة المعيشة للمجتمع الإلهي الربأني، وتظل فلسفة هذا الاسلوب دائما هي الفلسفة الراقية لتعتز وتتشرف المجتمعات الباحثة عن الرقي والتمدن والتائقة إلى الاصلاح الإجتماعي اذا ما رشفت من معين سلسبيلها أخذا بمضامينها وتطبيقا لتوجيهاتها.

فما انفكت المجتمعات التي تعيش مظاهر الغنى والترف عن ملازمتها للفساد الإجتماعي والإقتصادي والسياسي لان المال مادة الشهوات كما في النهج الاميري، ويروم الإمام علي عليه السلام وصف هذا النمط المشترك من انماط الثوابت التي تتصف بها حياة الأنبياء كفلسفة سامية في طريقة تهذيب النفوس وتقويم اخلاقها وصولا إلى الغآية النهائية للقيم، فيقول عليه السلام في مواقفه التوجيهية من خطبته القاصعة البليغة عن هذا الاسلوب للحياة الإجتماعية لسادة البشر وهم الأنبياء والأولياء:

«فلو رخص الله في الكبر لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه ولكنه سبحانه كره اليهم التكابر ورضي لهم التواضع فألصقوا بالأرض خدودهم وعفروا في التراب وجوههم وخفضوا اجنحتهم للمؤمنين وكانوا أقواما مستضعفين قد اختبرهم الله بالمخمصة وابتلاهم بالمجهدة وامتحنهم بالمخاوف ومخضهم بالمكاره فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد جهلا بمواقع الفتنة والإختبار في مواضع الغنى والإقتار، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ المؤمنون/ ٥٥، **فإن الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين**

في أعينهم ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون صلى الله عليهما على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصي فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه فقال -أي فرعون- ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل فهلا ألقي عليهما أساور من ذهب ؟ إعظاما للذهب وجمعه واحتقارا للصوف ولبسه».

الحلقة الثالثة

منزلة الفقير

لقد حظي الفقراء المؤمنون بمنزلة عظيمة في حياة الأنبياء في مصاحبتهم لهم عليهم السلام ودفاعهم عنهم.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ هود/ ٢٧، **﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾** هود/ ٢٩.

ان هذه الآية من المحكمات والآية المحكمة هي التي تتغذى عليها غيرها من الآيات المتشابهة وتستمد منها وجودها لتعتدل مفهومها فتصبح قائمة بذاتها -بعد الرجوع للمحكمة صالحة للفهم بعد ان كانت غير صالحة، ونستنتج ان ما قيل في التفاسير من ان النبي محمدا صلى الله عليه وآله هم بأن يطرد من حوله من الفقراء المؤمنين كذباً وافتراءً من بعض الرواة على الرسول وان كل ما قيل من تبرير من قبل المفسرين لهذا الهم بالطرد هو من نسج خيالهم إرضاءً للحكام والملوك أمثال بني أمية ما كانوا يحبون أن يروا او يستقبلوا الفقراء من شعبهم في قصورهم

فأوعزوا إلى نفر من هؤلاء المحدثين ليخترعوا هذه القصص كأسباب لنزول الآيتين من هذه السور فلوثوا الثقافة التفسيرية بروايات تخالف مضمون كتاب الله العزيز.

والآية التي ذكرناها هي من آيات سورة هود التي هي من أقدم السور المكية نزولا فهي ترشد المؤمنين أوائل الدعوة الإسلامية إلى الرشف من معين كوثر هذه الآيات رشفا وإلى الأخذ بمضامينها نسفا للسيرة الجاهلية الرائجة بين كفّار مكة في تحقيرهم للفقراء وخاصة المؤمنين منهم، وهي تتضمن بيان محاجة النبي نوح عليه السلام مع كفار قومه ونظرتهم التحقيرية للمؤمنين الفقراء من قوم نوح عليه السلام وطلبهم من نوح عليه السلام ان يطردهم، ومثل هذه الأحداث والتحديات التي يعيشها المسلمون بنفس تفاصيلها وقت نزول سورة هود.

فيحاول كفار قريش بشتى الطرق والأساليب تفريق المؤمنين الفقراء من حول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليستفردوا بشخصه الكريم ثم يقضوا على هذه الدعوة في مهدها، فقال تعالى ﴿**لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا**﴾ المنافقون/ ٧.

فالآيات الكريمة تفتح آفاق تفكير المسلمين على صد النبي نوح عليه السلام

ورفضه لاقتراحات المترفين من قومه حين طلبوا من نوح عليه السلام ان يطرد الفقراء المؤمنين عنه لأن زعم هؤلاء المترفين كما تقول الآية الشريفة ﴿**وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ**﴾ هود/ ٢٧، فمنطق الأغنياء هو امتلاك الثروة واكتنازها وهو الفضل ومقياس التفاضل في المجتمع عندهم فالفضيلة بنظر هؤلاء ان يعمل الإنسان على جمع الثروة وتكديسها والتفآخر بها، كما ان الرذيلة ان لا يكون للإنسان نصيب من الثروة يمتلكها فالفقراء هم الأراذل بزعمهم، فجاء جواب النبي نوح عليه السلام ﴿**وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ**﴾ يونس/ ٧٢.

فمن يحمل أعباء الرسالة السماوية لا يسأل الناس مالا أو أجراً اما المرتزقة باسم الدين فهم الذين يسألون الأموال من الناس عوضا لأتعابهم في خدمة الدين وما أكثرهم في كل العصور، ﴿**وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آَمَنُوا**﴾ هود/ ٢٩، وهذا هو شعار كل الأنبياء أي عدم طرد الفقراء بل تكريمهم وهذا المبدأ دافع عنه كل الأنبياء على مر العصور ليغرسوه في حياة الناس مبدأ خالدا ناسفين بذلك سنن الكفار والمترفين من كل قوم الذين شعارهم هو المال والعقار ونبذ من لا يملك الدرهم والدينار.

فالأنبياء لم يسيؤوا إلى الفقراء المؤمنين لا في مواقفهم ولا في كلماتهم

ولم يهينوا فقيرا او مسكينا بل عاشوا متجنبين لمظاهر البذخ والترف فكان ملبسهم ومأكلهم مساويا لمستوى ملبس ومأكل ومسكن الفقراء، محاربة للتمييز الطبقي او العنصري وانتصارا لفضيلة المساواة امام الله إلا بالتقوى والعمل الصالح.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الانعام/ ٥٢، **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾** الكهف/ ٢٨.

وهاتان آيتان من الآيات الكريمة التي تشيد بكرامة الفقير المؤمن وما له من حظوة ومنزلة عند ربه ولكن هناك عدة اشكالات أثارها المفسرون حول هاتين الآيتين تستحق أن نقف عندها وصولا إلى استكشاف الحقيقة، فما يتبين ان هناك مقترحين على النبيﷺ بطرد المؤمنين الفقراء، وقد رووا الكثير من الروايات الباطلة عن النبيﷺ وهذا ما حدث بتبريرهم لآية عبس وتولى بأن النبيﷺ رجح مواصلة محادثة الأغنياء على مخاطبة الفقير المؤمن فعبس في وجهه ليضمن إسلام

كفار قريش الذي يجلب معه إسلام قومهم بالتبع، وما أقبح هذا التبرير؟

ومن المفاهيم التي تستثيرها الآيتان الكريمتان ليغتنمها القاريء دروسا تبين منزلة الفقراء عند الأنبياء ومدحهم باوصاف كريمة كدعائهم لربهم مخلصين في كل الأوقات وان النظر اليهم وملاحظة أحوالهم ومعاشرتهم عبرة للمعتبر بحيث تؤدي إلى ترك التعلق بالدنيا وزينتها

وفي الآيتين حث النبي صلى الله عليه وآله ومعه الأمة الإسلامية على احترام الفقراء وحشر نفسه الشريفة معهم في كافة الأوقات أمربمعاشرتهم معاشرة حسنة، وإذا كان أسلوب الآية هو أسلوب النهي للنبي عن طرد الفقراء فإنه راجع إلى ان الله تبارك وتعالى يعلم نبيه الأخلاق الكريمة فالله تعالى ينهى نبيه عن القبيح في الوقت الذي لا يقدم فيه النبي صلى الله عليه وآله على عمل القبيح ابداً، كما نهاه عن الشرك والنبي لا يشرك ابدا.

ان من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام الوارد في الصحيفة السجادية في المعونة على أداء الدين «**اللهم حبب إلي صحبة الفقراء وأعني على صحبتهم بحسن الصبر**».

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عنآبائه عليهم السلام قال: «**سائلوا العلماء**

وخاطبوا الحكماء وجالسوا الفقراء».

ومن خلال هذا نجد الكرامة والمكانة الكبيرة التي أولاها الله تعالى وأنبياؤه والأئمة للفقير المؤمن.

الحلقة الرابعة

عبس/ ١-٢،

ان هذi الآية الكريمة تبين كرامة الفقير المؤمن الأعمى -بل كل فقير مؤمن- وان الرسول محمداً ﷺ أنزل هذه الصاعقة على الملأ من مجتمع مكة المكرمة وأمر بإبلاغ ذلك إلى مجتمعات الدعوة الإسلامية في طور نشوئها، وتبين هذه السورة دور الرسول ﷺ في بدآية الدعوة حريصا على تصحيح الموقف الخاطيء الذي بدر من شخص اهان فقيرا مؤمنا وكان هذا الشخص متكبرا ومهتما لأمر الأغنياء يحدثهم ويكرمهم لغناهم على حساب هذا الفقير المؤمن.

فكم كان هذا المتصدي لعتاة قريش مخطئا لأنهم اتفقوا في صفقتهم الخاسرة ضد النبي ﷺ وقالوا كلمتهم: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ سبأ/ ٣١ وقالوا أيضا للرسول: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ**﴾ فصلت/ ٥ فازداد الكافرون نفورا وطغيانا كلما نزلت آيات القرآن ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا**﴾ الإسراء/ ٤١ ﴿**وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا**

﴿وَكُفْرًا﴾ المائدة/ ٦٤ لأنهم لا يعرفون إلا منطق الإستكبار والإستعلاء

ومن هنا اقترحوا على النبي أن ياتيهم بقرآن ليس فيه إلا التعاليم التي يؤمنون بها ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ**﴾ يونس/ ١٥، فجاء الوحي الإلهي صادحا بآياته النيرة:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ يونس/ ٣٣، ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ البقرة/ ٦، واشتكى الرسول من قومه –قريش– باثا شكواه بعد صموده طويلا امام المترفين من قريش وهم اكفر الكافرين ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**﴾ الفرقان/ ٣٠، وابتدروا بالتهم والأوصاف المشينة يلصقونها بالنبي ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ**﴾ يونس/ ٢، وليست نهآية هذا الكفر والعناد الا التكذيب ﴿**وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ**﴾ الأنعام/ ٦٦، اي بالقرآن،وليس نهآية التكذيب إلا براءة كل طرف من الآخر ﴿**وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ يونس/ ٤١، وهكذا تحققت أنباء الوحي الإلهي

بأن القوم ميؤوس من إسلامهم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة/ ٦.

ويمكننا ان نفهم حرص النبي في ذوده عن تعاليم الرسالة الخالدة في طور نشوئها حين تصدى لتهذيب سلوك أحد أصحابه وفق تعاليم القرآن بما يرشد اليه العقل السليم من ان دعوة من نعلم انه لا يستجيب للدعوة الإلهية لغو من الفعل ويتجنبها العقلاء صونا لأنفسهم من الوقوع في مواقف لا جدوى من خوضها بعد ان تمت الحجة في مرحلة سابقة عليهم فما الجدوى من الإصرار على هدآية امثال ابي جهل وعتبة وشيبة وأبي لهب والوليد بن المغيرة بالتذكرة بعد التذكرة، فيتجنب التذكرة بعد التذكرة من قبل الرسول وايقافها عند حدود إعراض قريش عن الدعوة لتوليهم عن النبي ﷺ نهآية صحيحة وغآية مقبولة للمهمة التبليغية يألفها العقلاء ويستصوبون ختامها للدعوة ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۞ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۞ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۞﴾ الغاشية/ ٢١-٢٤، فذكر الناس أيها الرسول إلا من تولى منهم عن التذكرة وكفر فان تذكرته لغو لا فائدة فيها بل أعرض عنه فيعذبه الله العذاب الاكبر.

ولا يبقى مجال لتوهم من قال ان العبوس عبوس مضايقة لا

عبوس احتقار ولا مجال للتشبث بوحدة الحال بين النبيﷺ وبين الأعمى لبناء تبريرات واهية ولا داعي للإنشغال بمزاعم من قال بأن هذه الآية توحي بأن الله يريد ان يخرج النبيﷺ من الأجواء الضاغطة في العرف الإجتماعي التي يمكن ان تترك تأثيرها الخفي على نفسه بطريقة لا شعورية فيلتفت إلى الأغنياء رغبة في الامتيازات الحاصلة عندهم ولا داعي اصلا للتجول بين التبريرات لاستطراف بعضها بعد ان قلنا ان روايات نسبة العبوس إلى النبيﷺ تعارض نصوص القرآن وما ذكر من أدلة.

ونتساءل ما الذي حدا بالمفسرين ليقذعوا ابن أم مكتوم في قصة عبس وهو المؤمن الذي يخشى ربه –في نظرهم– في سورة الأعلى وهي نازلة قبل سورة (عبس) ؟ أليس من المفروض ان يكون متأدباً بأدب القرآن في المجالس فهو أحد تلامذة النبي الملازمين له كثيرا وقد قالوا في وصف مجلس النبي بأنه مجلس لا ترفع فيه الأصوات فما الذي جرّأه في حضرة النبيﷺ ومجلسه ان يرفع صوته كما يقولون ويزعمون والآية تقول ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾ الحجرات/ ٢،

ولعل ما شجع الرواة على اختلاق هذه الروايات ان أصبح الحكم

في يد أمثال مروان بن الحكم من الأمويين الكارهين لثقافة الاستضعاف فما كان يروق لهم ان يسمعوا نداء القرآن وهو يقول ﴿**وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ**﴾ البقرة/ ٢٢١، لأنهم شيدوا ملكهم على أساس الإستئثار بالأموال وتشييد القصور واتخاذ الزينة واستعباد الناس، فليس غريبا ان يكون شأن المستسلم لدين النبي محمدﷺ هو تحين الفرص لدس السموم واختلاق الروايات لتشويه صورة النبيﷺ واما ابن عم هذا الراوي فهو مروان بن الحكم، يقول الإمام عليعليه السلام في وصف كفه بأنها «**كف يهودية لو بايعه بكفه لغدر**»، فمثل هذه الكف الغادر انتهز الفرصة وكتب جملة من ثقافة الإسلام المشوهة ومنها روايات التفسير وأسباب النزول ابتغاء لدس السم في العسل وانتصارا للأموية وأنصار ثقافتها الشوهاء.

فتارة تحيك هذه الكف الغادرة سببا لنزول الآية ٥٢من سورة الأنعام وتحرص على إظهار النبي بمظهر يهم فيه بطرد الفقراء وأخرى تظهر النبيﷺعابسا في وجه الأعمى مما حدا ببعض المفسرين العظام ان يشير إلى هذه الرزية فيقول (إلا ان المتدبر في الأحاديث المسندة يرى أيضا كثيرا من الدس والوضع ويشاهد الأقوال المتناقضة تنسب إلى صحابي واحد ويقرا قصصا وحكايات يقطع بعدم صحتها).

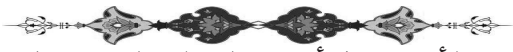

ويمرعلى الأحاديث في أسباب النزول والناسخ والمنسوخ لا تتفق مع سياق الآيات.

الحلقة الخامسة

محاربة القرآن لثقافة الترف والإستكبار

للأنبياء عليهم السلام جميعهم هدف واحد وهو سعيهم المقصود بجهادهم ضد المستكبرين والمترفين سعيا يوصل إلى الغآية النهائية في تطبيق القيم ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ الأنفال/ ٣٩.

ان الأنبياء لم يداهنوا المترفين المستكبرين ولم يضعفوا في جهادهم ضدهم بما أصابهم في سبيل الله بل واصلوا مسيرتهم الجهادية المثمرة بمحاربة المترفين القارونيين في كل العصور.

وما ذكرناه في حلقات سابقة من بيان لحالات النبي صلى الله عليه وآله الجهادية ومحاربته لصناديد قريش ومنهم الرجال المذكورون في شأن نزول سورة (عبس) لم تكن الحالة الفريدة في مسيرة الأنبياء وجهادهم بل انها تمثل حالة من مجموع الحالات الكثيرة لسيرة الأنبياء في جهادهم ضد المترفين، وهذا أصل من الأصول الثابتة والمشتركة للسيرة العملية للأنبياء والرسل جميعهم، فما تأتي الآيات تنثني بعضها على بعض فتقشع وتكشف الاغشية عن عطاءاتها للناس وتناصر كل آية كريمة اختها ونظيرتها في المنتقشات الفكرية القرآنية البارعة ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ**﴾ الزمر/ ٢٣.

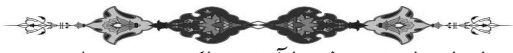

فبعد الجولة السابقة في الآيات الكريمة حول موضوع الفقراء وكرامتهم نذكر ايات آخرى تبين الترف للوصول إلى الغآية والأمد فقد انتهينا من الآيات التي تنصر ثقافة الإستضعاف وانتصارها على كل الثقافات، ونبين الآيات التي تبين محاربة القرآن لثقافة الترف والإستكبار وذلك لنصل إلى نتيجة مهمة وهي ان القرآن حارب الترف والمترفين فكانت معارك الأنبياء ضد المترفين وأتباعهم وليس حرب النبي ضد مترفي قريش وطغاتهم من أمثال أبي جهل والوليد بن المغيرة إلا حلقة من تلك الصراعات والمعارك، ومن هنا يتبين سر الإرتباط العضوي الوثيق بين مضامين هذه الآيات وبين مضمون آيات سورة عبس.

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ القصص/ ٧٦.

كان قارون من قوم موسى عليه السلام أي من بني إسرائيل وآتاه الله من الكنوز العظيمة ما ان مفاتيحه لتثقل الجماعة من الأقوياء فلا يستطيعون حمل مفاتيح الكنوز، فقال لقومه: بعد ان نصحوه بالإنفاق في سبيل الله إحسانا كما آتاه الله المال احسانا من دون استحقاق وان لا ينسى نصيبه

من الدنيا ولا يبغي الفساد في الأرض – ان ما جمعه من ثروة هي من تعبه شخصيا وبما أوتي من طرق علمية اقتصادية يعلمها هو ولا يعلمها غيره فهو مستحق لتلك الثروة بعلمه فوقف أبناء الدنيا من قومه –ذلك اليوم– وقالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وابتدر المؤمنون أهل العلم بالله بالقول «**ثواب الله خير**»، وهم يزجرون أبناء الدنيا الطالبين مثل ما اوتي قارون والمؤمنون الصالحون يتمنون ثواب الله فإن كانوا – أبناء الدنيا– مؤمنين صالحين فليتمنوه.

ثم قال المؤمنون أهل العلم بالله ﴿**وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ**﴾ القصص/ ٨٠. التصديق ان ثواب الآخرة خير من الثروة الدنيوية من صفات الصابرين الذين يخالفون مشتهيات النفس الأمارة، وكان هذا التصديق لا ينغرز في نفس الإنسان إلا بعد ان ينال درجة عالية من العلم الرباني الحاصل للإنسان العامل بعلمه، فقد قال الرسول ﷺ «**من عمل بما علم كفي ما لم يعلم**»، اي ان العمل بما يعلمه الإنسان من الأحكام الخمسة والأحكام الوضعية والأخلاقيات يورث لدى الإنسان علما جديدا من دون تعليم من أحد إلا الله تعالى

وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة حيث قال تعالى ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾ البقرة/ ٢٨٢، وقال تعالى ﴿**إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ**

فُرْقَانًا﴾ الأنفال/ ٢٩، وغيرها من الآيات.

ولا ينال الإنسان هذه الكرامة إلا بعد مجاهدة عظيمة للنفس ولا يسمو الإنسان علوا وارتفاعا إلى هذه المنزلة إلا بعد كد ومداومة على العمل الصالح، ولا ينحط الإنسان من درجات العلم نزولا إلا اذا ترك العمل بما يعلم ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾ الجمعة/ ٥.

﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ**﴾ الاعراف/ ١٧٥.

فمن ترك العمل بعلمه لأنه أخلد إلى الأرض انحصر علمه في الحياة الدنيا ولا ينتقل معه إلى البرزخ او إلى الآخرة ليتكامل من هناك بل ينتهي علمه في هذه الحياة الدنيا إلى الجهل لأنه لم يكن علما حقيقيا أي لم يكن من أجل الله بل كان من أجل حطام الدنيا، وقال الإمام علي عليه السلام «**ولا تجعلوا علمكم جهلا**» وكلما خاطبت الآية الشريفة النبي صلى الله عليه وآله ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾ النجم/ ٢٩.

وقد دأبت آيات القرآن ان تضع الرغبة في الدنيا ناحية مضادة للرغبة في الوصول إلى الله ورسوله والدار الآخرة فقال تعالى لنساء النبي ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ الاحزاب/ ٢٨.

وقال القرآن عن المعجبين بقارون ﴿**قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ**﴾ القصص/ ٧٩، ولاقتران هذه الآيات الكريمة والمزاوجة بينها نتائج منها ان من أراد الحياة الدنيا فهو قاروني المسلك ومعرض عن ذكر الله ولو كان من رجال الدين واحرز قسطا من العلم فمبلغ علمه وغايته الدوران في حيطة الحياة الدنيا فلذلك قال عنهم عز شأنه: ﴿**وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا**﴾ الحج/ ٥، وكما قال الإمام علي عليه السلام «**ولا تجعلوا علمكم جهلا**»، فعلم المحبين للدنيا محصور في الدنيا وموظف من أجل حطامها وما هو فإن بفناء الدنيا لا خير فيه.

وقال عليه السلام «**لا خير في علم لا ينفع**»، والعلم النافع يؤدي إلى نجاة صاحبه ونجاة المجتمع.. ان الترف والمال والغنى لا يكفيان وليسا ذا

قيمة للمرء لكي يكون رفيع الشان ولكي يكون فائزا، فربما هو هكذا في الحياة الدنيا ولكن ان كان غناه هذا هو كل ما ملكه في حياته من غير علم ولا عمل لآخرته، فإن غناه وأمواله ستكون نقمة عليه يوم المعاد

لأنه سيساءل ويحاسب، وتوفى كل نفس ما عملت، ويوم يدعى كل اناس بإمامهم «أي بكتابهم»بأعمالهم وليس بأموالهم التي اكتنزوها.

الحلقة السادسة

المظاهر القارونية

تطل القارونية الجديدة بثقافتها الأنانية على المجتمعات المعاصرة تحت عناوين براقة ولكن همها الوحيد هو تقديم مصلحة الفرد على المجتمع.

ان هنالك الكثير من المظاهر القارونية في عصرنا هذا، حيث يملك بعض الناس الكثير ولا يملك بعضهم الآخر قوت يومهم..

ما دمنا نستنير من هدي آية محكمة في ثقافة التفسير في محاربة ظاهرة جمع المال والثروة لأجل الوصول إلى حالة الترف الإقتصادي، فلابد لنا من تسجيل ملاحظات نستنتجها من الآية الشريفة.

يعتبر قارون ومنهجه نموذجا قديما للرأسمالية وهو غني إسرائيلي ما زال يتكرر عبر العصور في أشكال مختلفة وفي عصرنا الراهن يتمثل في أنصار العولمة الذين يديرون دفة الحكم في عالمنا الحديث ومعهم ٢٠٪من شركائهم.

ان الثروة تورث البغي والطغيان إذا أسيء استعمالها

إدعى قارون انه من صناع المال بواسطة العلم أي من رجال

الأعمال باصطلاح هذا العصر وبالتالي من صناع القرار الإقتصادي والإجتماعي والسياسي لا لشيء إلا لأنه يمتلك قوة المال وهذا ما يحلو لصناع العولمة الإقتصادية السياسية –اليوم ادعاؤه.

تسربت القارونية إلى ثقافة التفسير وعلومه فمن رأى ان سورة عبس والآية ٥٢من سورة الأنعام والآية ٢٨من سورة الكهف قد نزلت في النبيﷺ وانه قد هم بطرد الفقراء فقد نطق بمنطق قاروني شاء ام ابى وسواء كان تفسيره للآيات هذه عن علم بالابتلاء بهذا المنطق أم لا؟

وقد عرفت فيما مضى ان مصدر نفوذ الثقافة القارونية في التفسير هم القارونيون من بني أمية وأتباعهم.

القارونية تحارب الإنفاق في سبيل الله والفقراء فهي تدعو إلى كنز المال وجمعه فهي تقف في صف المحارب لآيات القرآن الداعية إلى الانفاق كقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ التوبة/ ٣٤، وكقوله تعالى: ﴿**كَيْ لَا يَكُونَ** –مال الفيء دولة – متداولا– **بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ**﴾ الحشر/ ٧.

المترفون يدمرون الحضارات:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى﴾ العلق/ ٦، ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ الشورى/ ٢٧، لعل وضوح المعاني في هاتين الآيتين يغنينا عن بسط الكلام حول علاقة الغنى في طغيان الإنسان، فإنه من خبر المجتمع وعاشر أفراده يجد ان الطغيان يكثر عند أصحاب الثروة والترف، والعدوان شيمة لمن غره المال فأصبح الناس يدفعون عدوانه ويتقون شرعاديته، ومهما كتبنا من أمثال فرعون وقارون وطغيانهم في التاريخ حتى غدت الثروة في أيديهم وبالا على مجتمعاتهم لأن الإنسان المترف مدمر للحضارات وجرثومة للمجتمعات فمهما كتبنا عنهم وعن عصيانهم المسبب لتدمير المجتمعات لا نكون شارحين لإجرامهم حق الشرح.

ولعل جزيل العطاء بجزالة الألفاظ وببلاغة الآية١٦من سورة الإسراء يحفزنا للتحليق في الأجواء الرحبة لمعانيها الزاهرة فنستحيلها من سنن قرآنية ونهتدي بأنوار جميلة معانيها، قال تعالى ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ الإسراء/ ١٦، هؤلاء هم هواة الترف وعشاق جمع الثروة القارونية في عصرنا الحاضر.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ هود/ ١١٦.

تقول الآية الشريفة مبينة دور المصلحين في عمارة المجتمعات ما دامت هناك طائفة من العلماء المصلحين لا يسكتون بوجه الفساد بل يقودون المجتمع لساحل الخير فهذا المجتمع يقل فيه الفساد او ينعدم.

ثم تقول الآية الكريمة ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ﴾، أي عجيب ان لا يكون من الأمم السابقة أشخاص ينهون عن الفساد في الأرض –مع ما رأوا من آيات الله وشاهدوا من عذابه –الا عددا قليلا من الذين انجيناهم من العذاب والهلاك فاولئك القلة من الناجين كانوا ينهون عن الفساد فلذا قال عز شأنه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا﴾، ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا﴾، أما الفئة الظالمة فإنها غرقت في بحر الملذات والمال وهم الاكثر، فالعجب لأمر هذه الفئة الكثيرة وغرقها في الملذات المحرمة مع ما رأت من العذاب، ثم تنتقل الآيات إلى ذكر سر بقاء الحياة في القرى ونجاتها من الهلاك وهو الإصلاح، فما دام المجتمع صالحا او سائرا في طريق الإصلاح والصلاح

لوجود مصلحين يقارعون الفساد فيه فلا مجال للهلاك، وهذا هو ما يهبه المصلحون للمجتمعات وهو الصلاح الذي يثمر البقاء والحياة السعيدة لها ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ هود/ ١١٧.

ان دين المترفين هو : لاإله إلا المال:

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ الزخرف/ ٢٣، يخاطب الله تبارك وتعالى في هذه الآية نبيه مبينا له ﷺ دين المترفين من المشركين على مر العصور.

ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير وهو النبي لينذرهم الا كان جواب القوم المترفين المرفهين هو التعلق بذيل التقليد اي قالوا إنا وجدنا آباءنا وأسلافنا على دين –اي دين عبادة المال وفي عصرنا الراهن عبادة البنوك والبورصات والعقارات ونحن على هذا الدين مستمرون ومقتدون.

وفي عصرنا الحاضر يستمر عباد المال المترفون على دين أسلافهم ومن جملتهم الشركات متعددة الجنسيات، ويقدّر حاليا ان ثلث عمّال

العالم البالغين ٢٨٠٠مليون عامل عاطلين عن العمل بينما يوجد ٣٥٠شخصا في العالم يملكون دخلا يعادل دخل ملياري ونصف عامل.

فهم المترفين في كل عصر هو تكديس الأموال على حساب الفقراء وعلى الفقراء ان يدفعوا كل ما يملكون على طبق من ذهب ليستمر عباد المال في هيمنتهم الإقتصادية ليمارسوا سياسة الطغيان والبغي في الأرض.

الحلقة السابعة

المترفون والعقاب

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ الفجر/ ٦-٨، العماد وجمعه عمد ما تعتمد عليه الأبنية وظاهر الآيتين ان إرم كانت مدينة لها معمورة عديمة النظير ذات قصور عالية وعمد ممدة.

ونحن في رحاب خامس آية عن الترف والمترفين وكيف إنزلقوا وزمرهم فهووا في واد سحيق دون أمل في النجاة ومنهم قوم النبي هود «عاد» بعد ان شيدوا القصور التي لم يشيد لها نظير.

ننتقل إلى المترفين من قريش الذين «**هموا بنا الهموم وفعلوا بنا الأفاعيل واضطرونا إلى جبل وعر وأوقدوا لنا نار الحرب**» وهكذا يصفهم الإمام علي عليه السلام، وكل هذه الآيات الشريفة التي تخاطب النبي صلى الله عليه وآله وقاصدة جميع الناس إلى ان يتعظوا من مصير أمثال قوم النبي هود عليه السلام وهم عاد الذين طغوا وأفسدوا بسبب وفرة الأموال لديهم،

فلا يختار قوم بعد عاد أسلوب عاد -وهو أسلوب التجبر والتكبر في مناحي الحياة حتى المسكن -وإلا سيكون مصيرهم الهلاك -وإلى وفرة المال لدى عاد وامتلاكهم لأساليب تقنية وآلات مخترعة -وبحسب

اصطلاح هذا العصر كانوا يمتلكون تكنلوجيا -تدفع عنهم المكاره وما سينزل بهم من الحوادث.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأحقاف/ ٢٦.

وفي الآية تحذير إلى كلّ المغترين بالتطور التقني الذي يحوزه ويسيطر عليه أصحاب المال والثروة من خلال إغداقهم المال على ذوي الإختصاص المستخدمين لسمعهم وأبصارهم في استكشاف الأدوات والأجهزة التي تعين المترفين المستكبرين في كل العصور على العيش المرفه، وليس مصير من إنغمس في اللذات من المترفين الغارقين في متاهات الإسراف إلا اللعنة والغضب الإلهي.

كما ان مصير المترفين من عاد قوم هود ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ الحاقة/ ٦. أي متتابعة دون انقطاع، ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ هود/ ٦٠، واللعنة تعني البعد عن الرحمة الخاصّة التي تشمل المؤمنين وحدهم لقربهم من ربهم فكلّما قرب العبد

من ربه وازاد إيمانا شملته الرحمة الإلهية بدرجة أكبر على قدر درجة إيمانه وقد شملت هذه الرحمة الخاصة هودا والمؤمنين معه ﴿**وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾ هود/ ٥٨، وكلما بعد العبد عن درجات الرحمة الخاصة فهو ملعون بتلك الدرجة من البعد من الرحمة بما يقابلها من دركة اللعنة، ومن هنا ربطت الأحاديث الشريفة بين ترك صلاة الليل وبين البعد عن الرحمة الخاصة «اللعنة» او بين ترك خدمة المسلمين وبين نزول اللعنة على تاركها، فهذه هي بعض تجليات اللعنة في الدنيا بشكل عذاب عظيم او غير عظيم ولكنها تظهر في الآخرة بصورة أخرى كالعذاب في جهنم والجامع بين النوعين من اللعنة هو البعد من الرحمة الإلهية الخاصة لا ينكر ولا مجال لإنكار مذمتها للمال إذا سبب العصيان والتكبر.

لاشك ان معظم أعمال الإنسان تسبب نزول الرحمة عليه وبعضها الآخر تسبب نزول العذاب واللعنة عليه، ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾ نوح/ ١١، هذه الآية تشيد علاقة خاصة بين استغفار الإنسان وبين نزول المطر والإمداد بالأموال والبنين والجنات والأنهار.

فهذه الآيات تبين تأثير الأعمال الصالحة والعبادات في نزول الرزق والبركات على الإنسان كأصل من الأصول المسلمة التي لا غبار عليها في ثقافة القرآن الكريم، وانطلاقا من هذه المسلمات القرآنية المبينة لمدى تأثير عمل الإنسان في جلب النعمة والنقمة عليه، ولا يأخذنا أيّ نوع من أنواع الدهشة او الغرابة بعد قراءتنا للآيات من سورة الأنبياء حيث تنص تلك الآيات على ان لمساكن المترفين دورا مهما في انزال العذاب عليهم وعلى مجتمعهم، فتقول الآيات: ﴿**وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آَخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ**﴾ الأنبياء/ ١١-١٣.

وفيها ظهور واضح في تأثير مساكن المترفين في إنزال العذاب عليهم، ومن طبيعة ثقافة الترف انها تصبغ كل مظاهر الحياة لدى المترفين المستكبرين لاسيما في المسكن والملبس، فلا يقتنع المترف من مسكنه إلا اذا كان فآخرا قد صرف على بنائه الأموال الطائلة واستهلك في بنائه أنواع الزخارف والزينة استهلاكا زائدا عن حاجته الطبيعية لمرافق المسكن لينال قمة التمتع واعلى درجات اللذة والترف فغدا استهلاكه المسرف في البناء وتشييد السكن موضوعا مهما حائزا لإهتمام

البالغ في الروايات الشريفة التي تزخر بالنافع والناجع لحياة البشرية، وازداد على ما مضى من ملامح ثقافة المسكن في القرآن نستنير بهدى إرشادات المحكم من الأحاديث الشريفة.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**كل بناء ليس بكفاف فهو وبال على صاحبه يوم القيامة**»، فمن يكفيه مثلا أربع غرف ليعيش حياة طبيعية فبنى ثمانية غرف بزيادة أربع غرف عن حاجته فهذا وبال عليه –أي عذاب شديد– يوم القيامة فكيف بمن يتخذون القصور وهم في غير حاجة اليها، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**إذا بنى الرجل فوق ثمانية اذرع نودي يا افسق الفاسقين أين تريد؟**».

ومن رواية الرسول صلى الله عليه وآله «**ومن بنى بنيانا رياء وسمعة حمله الله يوم القيامة من الأرض السابعة وهو نار يشتعل منه ثم يطوق في عنقه ويلقى في النار فلا يحبسه شيء منها دون قعرها إلا ان يتوب فقيل: يا رسول الله كيف يبني رياء وسمعة؟ فقال: يبني زيادة على ما يريد استطالة به على جيرانه ومباهاة لأخوانه**».

وهناك رواية أخرى تشير إلى قول الرسول صلى الله عليه وآله «**من سعادة المرء المسكن الواسع**» وهذا يعني أنه ليس على المسلم من غضاضة ان يبني

لنفسه بيتا واسعا مع المحافظة على حدود التواضع في البناء، فلا يميل إلى الإسراف بل يتخذ من المرافق وفق حاجته.

الحلقة الثامنة

الأنبياء والمترفون

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ سبأ/ ٣٤-٣٥.

والمعنى -إنا ذوو كرامة على الله بما أوتينا من كثرة الأموال والأولاد ونحن على كرامتنا فما نحن بمعذبين لو كان هناك عذاب، يرى المترفون بأن المال الذي بيدهم كرامة من الله لهم وان ثرائهم الفاحش سببه محبة الله لهم وبالتالي من حرم الفقراء من المال فهو مبغوض عند ربه، ويتحرى فرعون سببا لنفي نبوة موسى عليه السلام وما يراه إلا حرمان النبي موسى من الذهب ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾ الزخرف/ ٥٣. بينما هو خير من هذا.

أي موسى- الذي هو مهين ولماذا يكون فرعون خيرا من موسى فهذا ما مهد له فرعون في الآيات السابقة على هذه الآية ﴿يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ الزخرف/ ٥١.

وهذا هو منطق فرعون وكل مترف مثله وهو السائد في كل عصر بين الناس ان يستدل الغني المترف على أفضليته بين الناس بأمواله واما

بنو اسرائيل فقد اعترضوا على نبي زمانهم في قضية انتخاب طالوت ملكا للجيش وقالوا: ﴿**وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ**﴾ وقد اعترض المشركون في عصر النبي نوح عليه السلام عليه بأن أتباعه أراذل وفقراء ولم يرضوا بالإيمان به حتى يطردهم، ﴿**قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ**﴾ الشعراء/ ١١١.

وحذا المشركون في عهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حذو المشركين في عصر نوح عليه السلام فطلبوا منه صلى الله عليه وآله وسلم طرد الفقراء عنه، ولا عجب من اقتراحهم هذا فهم كانوا قد استنكروا نزول القرآن على رجل فقير مثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ الزخرف/ ٣١.

فلم يجانبوا منطقهم المستند إلى ثقافة الترف وقياس الفضيلة والعظمة بمقياس كثرة المال حتى في مثل نزول القرآن الذي ينبغي ان ينزل على الوليد بن المغيرة بمكة لأنه مترف او عروة بن مسعود الثقفي بالطائف لأنه مترف أيضا هذا لو كان هناك مجال لقبول هذا القرآن من قبلهم وتصور نبي ينزل عليه هذا القرآن هكذا يفكر المترفون في كل عصر فالمعنويات عندهم ماديات، وهناك ظاهرة آخرى ابتلي بها الإسلام أيما ابتلاء لا تقل عن اقتراحات هؤلاء المشركين ضررا فلقد

ابتلي بمترفين أجادوا إسباغ صفة الترف على تعاليم الدين زورا وتفننوا في ادخال ثقافة الترف على المجتمع المسلم بثورة على نظام الإسلام الحاكم مشفوعة بقوة السيف وسلاح الإغتيال ودس السم في العسل.

إن القرآن الكريم تحدث إلى هؤلاء عن إرادة أخرى تنطلق من منطق آخر غير منطقهم الطبقي لتحل في المجتمع مقاييس جديدة بأن تكون السيادة والقيادة لهؤلاء الفقراء المؤمنين وهو يتحدث عن رفض منطق فرعون الطبقي عندما قال تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾ القصص/ ٥.

ونحن على وشك إنهاء الحديث عن المترفين القارونيين يجدر بنا ان نستعرض بعض ما جرى على الأنبياء من أذى المترفين وصدهم عن دعوة الحق، وكان الأنبياء يستعدون ربهم على اعدائهم المترفين بالدعاء عليهم مجازاة لسوء اعمالهم وطغيانهم، ونبدأ الجولة بقصة النبي نوح عليه السلام مع المترفين من قومه ومن تبعهم من المضللين، قال تعالى:

﴿**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا**﴾ نوح/ ٢١، ما انفكت الآيات الكريمة تبين فداحة أمر الترف

والمترفين وخسران المقتنعين بثقافة الترف واعتبارها السلوك العملي الأنسب للحياة وإختتام أمرهم في نهآية المطاف إلى الهـلاك، وهذا نوح عليه السلام حيث تسجل الآية شكواه يبثها إلى ربه من المترفين وأتباعهم الذين أطغاهم كثرة المال والولد.

الذين يرون السعادة للانسان في جمع المال وتكديسها دون ان تكون آية عوامل آخرى مساهمة في سعادته بجانب المال، والذين حولوا المال والذي هو نعمة من رب العالمين لتحريك عجلة اقتصاد المجتمع لتحصل عملية التنمية الإقتصادية وتعود بالنفع على كل أفراد المجتمع وتنبذ الفقراء من فقرهم ويستفيد الغني منه استفادة مشروعة فإذا بهذا المال يتحول في أيديهم إلى نقمة على المجتمع ووبال بل ان سيرة المترفين هو تحويل المال إلى دولة بينهم يتداولونه لمصالحهم الشخصية مستأثرين منه لأنفسهم بحصة الأسد بعد ان صنعته ايدي الفقراء وقدمته لهم ليصنعوا منه غناهم وترفهم ويبقى القليل القليل منه حصة للفقير فليرض به وإلاّ فالحرمان هو البديل

وليس الحديث عن المترفين من قوم النبي موسى عليه السلام بمختلف في شيء عن ما ذكرناه من مترفي أمة النبي نوح عليه السلام، وفي نقلنا الآيات التي توضح مصير المترفين من قوم موسى عليه السلام تعزيز لعطاءات ايات القرآن

الكريم حول ذم الترف والمترفين وثقافة الترف التي افرزت الإستكبار في الأرض والطغيان والظلم وأنتجت اقتصادا يخدم المستكبرين ويضع المستضعفين على هامش الحياة وهم بناة مجد المجتمعات وليعزز القرآن روائع عطاءاته تلك ذكر القصة تلو القصة من حياة الأنبياء السابقين وليس وقوف النبي موسى عليه السلام موقف الدعاء على قومه المترفين والمستكبرين إلا من تلك النماذج حيث تقول الآية:

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ يونس/ ٨٨.

فمن كان شانه الدوام على الضلال والاضلال كفرعون وملئهِ كما تقول الآية –وكانت قلوبهم مشدودة مربوطة وزمان ايمانهم هو زمان رؤيتهم للعذاب الإلهي حيث لا ينفع الإيمان فهم مستحقون للدعاء عليهم –جزاء إساءتهم وكفرهم ومقابلة سوء عملهم الإستكباري بهذا الدعاء فلا مانع من ان يؤتيهم الله بسبب اموالهم زينة وأموالا لغرض اضلالهم عن سبيل الله فيزدادون افسادا استجابة لدعاء النبي موسى عليهم بزيادة أموالهم وأولادهم.

وليس عجيبا ان يكون المال الذي كان سببا لخسارة قوم نوح عليه السلام هو نفس السبب لمداومة قوم موسى عليه السلام على الضلال والإضلال وإدمانهم عليهما وهو بعينه سببٌ للشقاء والتعاسة لقوم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المنافقين منهم والكافرين بل اراد الله تعذيب هؤلاء المنافقين بهذه الأموال وتوفيهم وهم كافرون حيث قال تعالى: ﴿**وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾ التوبة/ ٨٥.

الحلقة التاسعة

النفاق والإنفاق

ان المال يمكن ان يكون وسيلة من وسائل التعذيب الإلهي بحق بعض الناس المستحقين للتعذيب مجازاة لهم على سوء اعمالهم

وغدت قصة ثعلبة من أبرز القصص في علم التفسير للإنسان المعذب بكثرة المال الذي يحسب المال دواء، وتتلخص قصته في إصراره على أن يدعو له النبي ﷺ بأن يرزقه مالا بعد ان تعهد للنبي ﷺ وحلف بأنه سيعطي كل ذي حق حقه حين اصابة المال فدعا له النبي ﷺ وأصبحت بعض غنيماته في كثرة عددها كالدود تملأ كلّ وادي فبعث اليه النبي من يأخذ منه الزكاة فرفض وبخل وقال:

ما الزكاة إلا أخت الجزية، فقال رسول الله ﷺ: «**يا ويح ثعلبة**»، فنزلت الآية الكريمة: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آَتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ* فَلَمَّا آَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ التوبة/ ٧٥-٧٧.

فالنفاق يمنع الإنفاق وهو مقدمة للإكتناز وحصول الترف وليس ذنب الرسول ﷺ عند هؤلاء المنافقين الا انه احسن اليهم فأساؤوا اليه

وعقوه.

وهـذا حـال بني أمـية وبـني العباس ضـد النبي ﷺ وأهـل بيته عليهم السلام حيث كما تقول الآية: ﴿**وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ التوبة/ ٧٤.، فقد كان كثير من المنافقين في ضنك من العيش يقاسون ألم ومرارة الفقر قبل ان يسلموا او يستسلموا وبعد أن قالوا كلمة الإسلام بأطراف لسانهم لقلقة تدفقت عليهم الأموال.

ولأن النبي محمداً ﷺ كان يساويهم في الغنائم ببقية المسلمين ويوفي لهم ديونهم اختاروا ان يجازوه بكل أنواع الأذى ومنها بث الروايات التي تنسب العبوس او طرد المؤمنين وغيرها، وهذا هو حال كل من نقم على الدين في كل عصر بعد أن أغناه الله ورسوله فهو مشمول بالآية ومنهم في عصرنا الراهن ممن كونوا ثروة قارونية فجازوا الرسول بما جازاه به أسلافهم.

وصدور كل هذا الكفر والنفاق من هؤلاء من زمن النبي نوح عليه السلام إلى زمن النبي ﷺ دليل على ان الله قد طبع على قلوبهم مجازاة لهم على أعمالهم وعقائدهم الفاسدة.

﴿**ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا**

﴿كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ يونس/ ٧٤.، أي ثم بعثنا مع نوح(عليه السلام) رسلا إلى قومهم كإبراهيم وصالح فما آمنوا وما يهمنا في هذه الآية ان عدم ايمانهم بسبب الطبع الإلهي على قلوبهم، وهؤلاء كأمثال أبي لهب وأبي جهل وشيبة وعتبة وغيرهم بأن الله تعالى قد طبع على قلوبهم فهم لا يؤمنون، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ محمد/ ١٦.

ولأن الطبع على قلوب المنافقين كان مجازاة لهم على أعمالهم فلا أمل من دخولهم في الإسلام ولا نتيجة من دعوتهم اليه فجاء الخطاب الإلهي لنبيه: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا﴾ المزمل/ ١٠. مؤكدا لهذه الحقيقة.

كما ان الخطاب الإلهي الآخر المبين بأن التاريخ يعيد نفسه في قصص الأنبياء وان الأحداث التي جرت قبل الإسلام مع الأنبياء السابقين على الإسلام تجري أحداثاً شبيهة لها بعد ظهور الإسلام في خطوطها الرئيسية وهذا الخطاب بصورة الامر ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف/ ١٦٧. أي اقصص عليهم يا رسول الله قصص الأمم الماضية مع انبيائهم لعلهم يتفكرون، فقص النبي(صلى الله عليه وآله) عليهم القصص وهم في بداية إنتشار الإسلام قلة مستضعفة يتخطفها

الطير قص عليهم احداث قصة النبي نوح عليه السلام ومن معه.

وقد طلب منه الكفّار ان يطرد الفقراء عنه فرفض عليه السلام ذلك وليستخلص المؤمنين بالإسلام بأن ما يصيبهم من عتاة قريش أصاب المؤمنين قبلهم على عهد نوح وموسى عليهما السلام فيزدادوا ثباتا وايمانا ولا يستوحشوا قلة سالكي الطريق بل يستصغروا شأن هؤلاء الطغاة من قريش لأن مصيرهم كما يحدثهم القرآن –الخسران المبين–، هكذا تحدث الرسول صلى الله عليه وآله إلى المسلمين في بداية الدعوة زارعا في نفوسهم الأمل بأن المستقبل هو لهذا الدين فلا غرابة من عدم إيمان أبي لهب والوليد وكل رجال قصة عبس فهم مطبوع على قلوبهم بنص القرآن وهم سائرون على درب من سبقهم من المطبوع على قلوبهم من قوم نوح وموسى وغيرهما من الأنبياء.

وقد أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله ان يقص هذه القصص على قومه لعلهم يتفكرون، قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله سيحيق العذاب بعتاة قريش قريبا فدعني وهؤلاء الذين أطغاهم المال وأعماهم الترف عن رؤية الحق فهم مطبوع على قلوبهم، وليس التهديد الموجه للوليد بن المغيرة رئيس المترفين في قريش بدعا من التهديد بل هو تهديد معزز ومؤكد للتهديد السابق وشامل لكل من أطغاه المال وأعرض عن الحق، فقالت

الآية الشريفة: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا *وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ* ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ*فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ المدثر/ ١١-٢٦.

والخطاب للنبي ﷺ والمراد به تهديد الوليد بإجماع المفسرين والذي كان السبب الموجه لبغيه وعدوانه هو الثراء وكثرة المال ﴿**وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا**﴾ المدثر/ ١٢ وهذه السور دليل صريح على تصدي النبي ﷺ للمترفين في عصره -كما فعل الأنبياء كلهم قبله- وتصديه لمنهجهم القائم على عبادة المال وتحويله إلى نقمة على الآخرين فبين النبي ﷺ منذ بدآية الدعوة خطورة هذا المال الذي بأيديهم وإنه سلاح ذو حدين وانه سيهلكهم.

نعم هكذا كان موقف النبي ﷺ وجميع الأنبياء في وجه الطغاة عبدة المال، وهذا لا يعني جميع الذين يملكون اموالا، بل جميع الذين يملكونها ولا يؤتون حق الله منها إلى الفقراء، كما قال تعالى: ﴿فِي

﴿أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ المعارج/ ٢٤-٢٥، وكذلك لا يؤدون الخمس والزكاة من أموالهم فهؤلاء هم الذين تصدى لهم القرآن والأنبياء ووعدهم الله من لدنه بعذاب أليم وستكون أموالهم هذه التي كنزوها لأنفسهم فقط نارا تكوى بها جباههم ووجهوهم في نار جهنم.

فيا أخي المؤمن تصدق من مالك على من لا يجد قوت يومه، واعلم بأن مالك هو لله وأنت اليه راجع، فلا تبخل به على من أمرك الله بإعانتهم.

الحلقة العاشرة

إنفاق الأنبياء والأوصياء عليهم السلام

لقد ندب القرآن الكريم إلى الإنفاق على الفقراء والمحتاجين وجعل من أنفق عليهم كأنه أقرض الله تعالى وهو سبحانه غني عنه، يضاعف له الأجر والإحسان، قال تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ البقرة/ ٢٤٥، ان الذي ينفق في حمآية المعوزين والمستضعفين قد ساهم في بناء مجتمع فاضل تتوفر فيه الكرامة والعزة، وقال تعالى: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ البقرة/ ١٩٥.

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ البقرة/ ٢٥٤، وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ آل عمران/ ١٣٤.

فقد وعد الله تعالى المحسنين بأن يجازيهم جزاءا حسنا ولا يضيع أجرهم في الدنيا والآخرة.

وكان للأئمة عليهم السلام الدور الكبير في الحث على أعمال البر والإحسان إلى الفقراء، ومنهم إمامنا السجاد عليه السلام فكان من بره بالفقراء انه كان من أهم ما يصبو اليه الإمام عليه السلام في حياته ومن أثمن رغباته الإحسان إلى الفقراء وإنقاذهم من كابوس البؤس والحرمان وهذه شذرات من بره مع أحاديثه في الحث على مساعدتهم، وكذلك كان الإمام زين العابدين عليه السلام يقابل الفقراء بمزيد من الحفاوة والتكريم ويقول الرواة: «انه اذا اعطى سائلا قبّله لئلا يُرى عليه أثر الذل والحاجة»، وكان من تكريمه للفقير انه يقابله بالترحيب ويقول له: «**مرحبا بمن يحمل زادي إلى دار الآخرة**»

هذا الإحتفاء بالفقراء والعطف عليهم، ومن المؤكد ان ذلك يوجب تماسك المجتمع وشيوع المودة والرحمة بين المسلمين كذلك مما عرف به عليه السلام إطعامه للفقراء فمن عطفه وحنانه عليه السلام على الفقراء انه كان يحضر إلى مائدته اليتامى والفقراء والمساكين من الذين لا حيلة لهم وكان يناولهم الطعام بيديه، ومن مراعاته عليه السلام للفقراء ايضا انه كان يكره اجتذاذ ثمرة النخل بالليل وذلك لعدم حضور الفقراء في هذا الوقت فيحرمون من العطاء، وقال عليه السلام لشخص جذ نخلا في آخر الليل: «**لا تفعل الا تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن الحصاد بالليل**»، ومن فيض

معروفه وفضله عليه السلام بالفقراء انه كان يعول مائة بيت بالمدينة سرا وكان في كل بيت جماعة من الناس، وقد نهى عليه السلام اهل بيته عن رد السائل وحرمانه من العطاء.

فقد روى ابو حمزة الثمالي، قال: صليت مع علي بن الحسين عليه السلام الفجر بالمدينة يوم الجمعة فلما فرغ من صلاته نهض من منزله وانا معه فدعى مولاة له تسمى سكينة، فقال لها: «لا يعبر على بابي سائل الا اطعمتموه فأن اليوم يوم الجمعة»، فقال له ابو حمزة: ليس كل من يسأل مستحقا، فقال عليه السلام: «**اخاف ان يكون بعض ممن يسالنا مستحقا فلا نطعمه ونرده فينزل بنا اهل البيت كما نزل على يعقوب واله، اطعموهم اطعموهم،ان يعقوب كان يذبح كل يوم كبشا فيتصدق منه ويأكل منه هو وعياله وان سائلا مؤمنا صواما مستحقا له عند الله منزلة اجتاز على باب يعقوب يوم الجمعة عند وقت افطاره، فجعل يهتف على بابه اطعموا السائل الغريب الجائع من فضل طعامكم وهم يسمعونه وقد جهلوا حقه ولم يصدقوا قوله، فكان عاقبة ذلك ما ابتلي به يعقوب بولده يوسف عليه السلام ففي الليلة ذاتها رأى يوسف عليه السلام رؤية الذئاب وهم اخوته محاولين الفتك به**».

فإن حرمان الفقير المحتاج وعدم اسعافه يوجب زوال النعمة وسخط الله وقد تظاهرت الاخبار عن ائمة الهدى عليهم السلام في الحث على اكرام الفقير واسعافه خوفا من غضب الله تعالى وسخطه، وروى سعيد بن المسيب:

حضرت عند علي بن الحسين عليه السلام يوما حتى صلى الغداة فاذا سائل على الباب فقال صلى الله عليه وآله: «**اعطوا السائل ولا تردوا السائل**».

هكذا كانت سجيته عليه السلام ان لا يرد جائعا وينعم عليه وينسيه مرارة الفقر وهذا من خلق جده رسول الله صلى الله عليه وآله الذي بعث رحمة للعالمين وكان أيضا أحب شيء لهذا الإنسان العظيم الإمام الكريم عليه السلام الصدقة في السر والعلانية لئلا يعرفه احد لأنه أراد ان يجعل مبراته خالصة لوجه الله تعالى لا يعلم بها أحد، وكان يقول: «**انها تطفئ غضب الرب**»، وكان يخرج في الليل البهيم فيصل الفقراء بهباته وعطاياه وهو متلثم لئلا يعرفه احد، وقد اعتاد الفقراء على صلته لهم فكانوا يقفون على ابوابهم ينتظرونه فاذا جاء استبشروا وقالوا: «**جاء صاحب الجراب**»

وكان له قرابة يأتيه الإمام بالليل فيصله شيئا من الدنانير فيقول له العلوي: ان علي بن الحسين لا يصلني ويدعو عليه فيسمع الإمام ذلك

ويغضي عنه ولا يعرفه بنفسه ولما توفي الإمام عليه السلام فقد الصلة فعلم ان الذي يصله كان الإمام فكان يأتي إلى قبره باكيا معتذرا، ولقد كان عليه السلام يحث اصحابه على الصدقة ويدعوهم إلى هذه المبرة قائلا: «ما من رجل تصدق على مسكين مستضعف فدعا له المسكين بشيء في تلك الساعة الا استجيب له».

روي ان الإمام عليه السلام كان يحمل جرابا فيه بعض النقود والامتعة ليوزعها على الفقراء والمساكين فراه الزهري فقال له: يا ابن رسول الله ما هذا؟ واجاب الإمام بصوت خافت: «**سفرٌ أعد له زادا احمله إلى موضع حريز**»، واراد الزهري ان يساعده في حمل الجراب الا ان الإمام عليه السلام امتنع، وبعد ايام إلتقى الزهري بالأمام عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله لست ارى لذلك السفر الذي ذكرته اثرا، فانت لم تسافر؟ فاخبره عليه السلام بالسفر الذي اعد له العدة وهيأ له الجهاز اللازم، انه السفر إلى دار الحق.

وهكذا كان سيد المتقين وامام العابدين نسخة لا ثاني لها في تاريخ الإنسانية في بره وورعه وتقواه واحسانه إلى المحتاجين والفقراء والمعوزين والمعذبين. ولقد ارتأينا في ان نتكلم عن سيرته عليه السلام مع الفقراء وتواضعه لهم والإحسان اليهم بكل ما يملك من زاد ومال، وكل ذلك

ابتغاء مرضاة الله فعسى ان نتخذ منه عليه السلام قدوة ومثلا لنا في تعاملنا مع السائل والمحتاج، فكل ما ننفقه في سبيل الله سيسجل عنده تعالى، وسيجازي عليه الجزاء الاوفى..

الحلقة
الحادية عشرة

الحلقة
الحادية عشرة

توظيف المال بشكل صحيح

قال الله تعالى: ﴿**فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ**﴾ المؤمنون/ ٣٢-٣٣، هذه الآية تتحدث عن قصة النبي هود عليه السلام مع قومه عاد حين دعاهم إلى عبادة الله فجاءه الجواب بالصد من قبل المترفين المرفهين بلغة التجار فقالوا: بشر مثلكم، فمقياس النبوة عندهم يقيم بالمال والنسب فمقياس تفضيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على غيره بكثرة المال والعقار، وقد جاء مثل هذا الجواب صريحا في كلام بني إسرائيل حينما اعترضوا على نبيهم بعد ان نصب الله تعالى طالوت ملكا عليهم فقالوا: ان طالوت لم يؤت سعة من المال.

ومثل هذا الإعتراض سجله قوم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين قالوا: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ الزخرف/ ٣١، فطلبوا ان ينزل القرآن على رجلين من الوجهاء والأعيان في مجتمع العرب وهما الوليد وعروة، ولم يجدوا القرآن بعد نزوله إلا خصما لهم يخطئهم ويسفه آلهتهم الدرهم والدينار ولا يأخذ

باقتراحهم الواهن، فهو لم ينزل وفق مقاييسهم التجارية وعقائدهم الرأسمالية، فما نشدوا فيه ضالتهم، ولا وجدوا فيه ما يروي عطشهم لجمع المال، فغدا موقفهم التمهيد لمحاربته فقالوا انه إفك قديم: ﴿**وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ**﴾ الاحقاف/ ١١، ثم أفصحوا عن موقفهم إفصاحا وهو الصد الصريح والكفر المؤبد بالقرآن﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ**﴾ سبأ/ ٣١.

وأيد القرآن ما اعترفوا وصرحوا به من كفرهم وأثبت التاريخ وثيقة يقينية في محتواها بأن الإعراض قد تحقق منهم ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**﴾ فصلت/ ٣، ورجوع هذه الآيات الشريفة في مضامينها الناصة على صدود المترفين المستكبرين عن دعوة رب العالمين فيما كان يقصه النبيﷺ على اليهود وعلى قومه من قصص الأنبياء السابقين تنفيذا للأوامر الإلهية من قوله تعالى: ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾طه/ ١٧٦.

رجوع ومعاودة وإنثناء لآيات متشابهة المحتوى لغيرها من آيات القرآن، التي راحت تشير إلى سنة إلهية غائرة في القدم لطالما رددتها ايات القرآن بأساليب مختلفة ومنها قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ**

الحلقة
الحادية عشرة

مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ المؤمنون/ ٤٤.

لقد تكلمنا في حلقات سابقة عن المترفين المستكبرين الذين يجعلون من المال وسيلة لمحاربة القيم الإنسانية، بل وهدم المجتمعات الإنسانية ويعيثون في الأرض الفساد ويقابلون جهود المصلحين بالإستهزاء والنظر اليها بالنظرة الشزراء، ولعل ما يتبادر إلى أذهان الكثيرين بعد ملاحظة الحلقات الماضية، حول حالة الغنى والترف وملازمتها للفساد والطغيان بحيث لا يبقى مجال للحديث عن حالات للغنى المشروع ولا تبقى مساحة لذكر الأغنياء الصالحين الذين كانوا بإنفاقهم ومساهماتهم المثل والأسوة لمن يستثمر المال والثروة، مستهدفا خير المجتمعات البشرية تماما.

كما فعلت خديجة زوجة النبي ﷺ حيث أنفقت ثروتها من أجل نشر التعاليم الإسلامية ودعم مواقعه في المجتمع، ولأجل ما يتبادر إلى الأذهان من مثل هذه الشبهات سنبين دور المال في إنعاش وعمارة الأرض والمجتمعات اذا كان وسيلة بيد الأنبياء والمصلحين يستعملونه أحسن الإستعمال ويوجهون به المجتمع نحو الخير والفضيلة.

قال تعالى: **﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا**

وَجَهْرًا﴾ النحل/ ٧٥. ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ يوسف/ ١٠١.

قوم كأولهم في الفضل آخرهم والفضل ان يتساوى البدء والعقب ان المال بيد الأنبياء والأولياء وسيلة يوجهونها نحو الهدف بل الدنيا متجر لهم للكسب والتجارة والإستثمار لأهداف سامية نبيلة، فإذا كان المال بيدهم هو المال الممدوح وهو المال المذموم نفسه بيد غيرهم ممن عشق المال وجعله إلهه، فلا عجب اذن ان يحدثنا القرآن عن ملك النبي سليمان وامتلاكه للثروة او عن النبي يوسف عليه السلام الذي أتاه الملك الدنيوي بالإستوزار او غيره وقد جعله الملك على خزائن الأرض..

قال رجل للإمام الصادق عليه السلام إنا لنحب الدنيا، قال عليه السلام: «**تصنع بها ماذا؟**».

قال: أتزوج منها وأحج وأنفق على عيالي وأنيل إخواني اي أعطيهم المال وأتصدق، قال الإمام عليه السلام: «**ليس هذا من الدنيا هذا من الآخرة**»، وفي هذه الروآية دلالة صريحة على ان في كيفية توظيف الإنسان للمال هو الذي يجعله وسيلة ممتازة محبذة تستحق ان يجهد الإنسان نفسه من أجل تحصيلها او غير محبذة لا تستحق ان يتعب الإنسان نفسه في سبيل

جنيها، وما ورد من روايات كثيرة في ذم الثروة وما فيها من مال وثروة فالمقصود هو ذم التوظيف الخاطيء للدنيا وما تمثلها من ثروة وزينة في الطغيان والإفساد في الأرض، اما الدنيا بأموالها وثرواتها التي توظف لخدمة الإنسانية وإعمار الأرض فهي المطلوبة وهي الممدوحة في روايات اهل البيت عليهم السلام كما مرت بعضها معنا.

وجرت سيرة أهل البيت عليهم السلام كالأنبياء في ممارسة الزراعة بأنفسهم، باستصلاح الأراضي وتحويلها إلى بساتين منتجة ثم استخدام هذا الإنتاج في خدمة المجتمع وتنميته اجتماعيا واقتصاديا، ربما يلاحظ كون أكثر المؤمنين فقراء في معظم العصور بل ان أتباع الأنبياء هم غالبا من الطبقة المستضعفة من المجتمع حتى صار هذا الأمر كالقاعدة في ثقافة الإسلام والأديان.. وتبقى الأقلية من المؤمنين هم الأغنياء ويعود ذلك في جملة ما يعود إلى ان بناء ثقافة الإسلام على العمل الصالح، وابتناؤه ايضا على مفهوم الامتحان والابتلاء في الدنيا بأنواع الابتلاءات، ومن أهمها الإبتلاء بنقص الأموال.

فالمؤمن ممتحن ومن أشد وأقسى أنواع الإمتحان نقص الأموال فكم من مؤمن استحقرته امراته أو عياله او مجتمعه لفقره، ولأن من طبع المال انه يؤثر سلبا على اكثر النفوس ولا يأمن سلبياته إلا بعض

النفوس التي وفقها الله تعالى فصانها من شرور المال وسيئاته وعلى رأسهم الأنبياء والصالحين كقصة النبي يوسف عليه السلام واعتلاؤه العرش الملكي ذلك لأن الدنيا لم تكن لتملك رقاب هؤلاء وتستعبدهم كما فعلت بغيرهم حين سقتهم السم الزعاف فاوردتهم المهالك، بل ظل الأنبياء والأئمة عليهم السلام أمراء على الدنيا وعلى المال الذي فيها في حين كان غيرهم أسراء المال..

الحلقة
الثانية عشرة

الحلقة
الثانية عشرة

نصرة الفقراء

﴿**فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**﴾ النمل/ ٣٦، جمع الله تبارك وتعالى لنبيه سليمان الملك والثروة في عطائه الهنيء له، حتى أصبح مضربا للمثل عبر التاريخ وكان مصداقا للحديث الشريف: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**» وأضحى المال بيده موظفا لخدمة البشرية وبناء المدينة والمجتمع الصالح، فهو ملكٌ صاحب ثروة لا كالملوك المأسورين للمال بل هو الطراز الفذ فالمال والثروة بيده وسيلة لخدمة الخير لا يحلم هذا المال أبدا ان يكون صاحب سلطة على قلبه او ان يجد إلى قلب سليمان طريقا للإستحواذ والهيمنة.

بات نصير الفقراء بأمواله -كغيره من الأنبياء والأولياء يسعفهم عليهم السلام بجوده وكرمه وظل بعطاياه ونواله لهم يضع البلسم الشافي على جراحهم وموطن آلامهم وما برح ينقذ البائس التعيس ليصبح منعما ومترفلا في ثوب السعادة، بعد ان كان المجتمع قد عدهم في عداد الموتى او خالهم من المهملين، وكان شعاره عليه السلام ككل الأنبياء -«**لا لكنز الثروة فوق الثروة**»، أصبح وأمسى يجد الانفاق إلى جيبه الف سبيل وسبيل وظل المال في حياته الأسير الخادم للبشر لا يحلم المال

الا ان يكون سالكا طريق النجاة والمرضاة للمجتمعات فيقطع قنوط ويأس البائسين لانه وسيلة طيعة بيد احد المرسلين، وغادر شبح البؤس وقلق اليأس أنفس الفقراء الذين كانوا يعاصرون ملكهم سليمان عليه السلام فهو الذي ألف مجالسة الفقراء على المائدة يمضي معهم في تناول الطعام .

وكم كان الوزراء والمستشارون على خطأ ومعهم ملكتهم بلقيس حين قرروا إرسال هدية مادية ثمينة إغراء للنبي سليمان وامتحانا له بواسطة الرسول، فقال النبي سليمان عليه السلام: «**أتمدونني بمال حقير وقد آتاني ربي الملك والثروة**»، وكان قد وجه خطابه لرسول الملكة موبخا فالمال حينما يكون وسيلة لتحقيق الحاجات المادية للإنسان لينال بواسطته الآخرة ويرفع من المستوى المعيشي له ليتطور ويحقق العدالة الإجتماعية ويطور أساليب الانتاج نحو الاحسن لتحقيق التكافل الإجتماعي وليصل الإنسان إلى قمة الحضارة باعتباره خليفة ربه في الأرض هذا هو المال الذي يكون أداة طيعة بيد النبي سليمان عليه السلام ومن مثله من الأنبياء والأوصياء والمصلحين لأن الأنبياء هكذا أرادوا المال وقد وصلت إلى ايدي الأنبياء كسليمان -كما تنص الآية- اموال طائلة استخدموها في خدمة البشرية..كما وصل إلى ايدي أهل البيت عليهم السلام المال الكثير وهم والأنبياء اغنى أهل الدنيا بتمكين الله جل جلاله لهم مما يريدون منه

تعالى من الإحسان اليهم ومن طريق نبوتهم كانوا أغنى أممهم وأهل ملتهم ولولا اللطف برسالتهم ما كان لأهل وقتهم مال ولا حال وإنما كانوا عليهم السلام يؤثرون بالموجود ولا يسبقون الله جل جلاله بطلب مال يريد ان يطلبوه من المفقود، وقد وهب جدهم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله امهم فاطمة الزهراء عليها السلام فدكا والعوالي من جملة مواهبه وقد دخلها على روآية اربعة وعشرون الف دينار في كل سنة وهي وزوجها المعظم والواهب الاعظم صلى الله عليه وآله من أعظم الزهاد والأبرار وكان يكفيهم منها أيسر اليسير، وهكذا يروى عن ثروة الإمام علي عليه السلام فيقال: انه عليه السلام وقف امواله وكانت غلته أربعين الف دينار فجعلها كلها صدقة، وثروة الإمام الحسن عليه السلام كانت كثيرة فقد سمع الحسن عليه السلام رجلا يسأل الله ان يرزقه عشرة آلاف درهم فذهب عليه السلام وبعث بها اليه، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يعول مأْئة بيت ولما مات قال اهل المدينة: ما فقدنا صدقة السر حتى مات زين العابدين عليه السلام وأما الإمام الباقر عليه السلام فكان يطعم الناس ويكسوهم ويوزع الأموال من خمس مأْئة إلى ألف لكل إنسان.

وهكذا كان الإمام الصادق عليه السلام يطعم الناس ولا يبقي لعياله شيئا..وكان الإمام الكاظم عليه السلام يعول أكثر من خمسمائة نفس، وكانت خديجة رضي الله عنها زوجة الرسول صلى الله عليه وآله المثال والقدوة لكل من أتى

بعدها وصرف الثروة في نصرة الدين ونشره فأضحت تمول الدعوة الإسلامية بثروتها مضحية بالغالي والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الدين، على خطى الصالحين الذين جعلوا المال والثروة وسيلة للوصول إلى الأهداف الصالحة..يقول تعالى:﴿**وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾ القصص/ ٧٧، فإن نعم الله عز اسمه وفيوضه على الإنسان مستمرة والواجب عليه أن يحسن إلى اخيه الإنسان كما احسن الله تعالى له: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ البقرة/ ٩٥،

فقد تبنى القرآن الكريم بصورة موضوعية الوسائل التي تحمل طابع المودة والاخاء بين المسلمين كما دعا إلى الوحدة الشاملة القائمة على الوعي ليكونوا يدا واحدة في تماسكهم ووحدة اهدافهم ومن بين الوسائل التي اتخذها القرآن الكريم لترابط المسلمين: «الإيثار، والإحسان إلى الغير، الإنفاق.. وغيرها»فإن ما تعطيه أيها المؤمن سيكتب عند الله، فلا تبخل على من يمد يده اليك، بل جد عليه قبل ان يمد يده للسؤال، لأن في اموالك حقا معلوما، للسائل والمحروم.